العصر هو عصر العلم وبالعلم تبنى الحضارات وتحقق الأهداف والآمال السامية للشعوب.

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

راية الثـــورة الاولى..وضلعـــهـــا القـــوي

الضـــالع..مـــقـــبـــرة

□ بين جنباتها داخ الغزاة وتقهقروا، وعلى أيدي أبنائها ذاقوا مرارات الموت وشر الهزائم.

فكانت عن جدارة وبامتياز مقبرة الشياطين الحمر!!

الضالع -كما هو اسمها- ضلع اليمن القوي في مسيرة الثورة الواحدة ، والعنفوان الوحدوي الذي تجاوز الخطوط الحمراء الى الابد.

الضالع .. راية الثورة الاولى في جنوب الوطن الموحد.. والقلعة اليمنية التي حملت على اكتافها وهج ثورة اكتوبر الاولى بانتفاضات الخمسينات المتعاقبة قبل أن يقرع جرس الانذار المدوي من اعالي قمم ردفان الشماء يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٦٣م.

حيث فتحت الطريق أمام الجموع الشعبية التي تدفقت من كل ارجاء اليمن تحمي الثورة حرصا على استمرارها ونجاحها الذي فرض على جنود الامبراطورية العظمى التي لاتغيب عنها الشمس الامتثال لقرار الجلاء النهائي من أرض الاحرار.

من الحقائق التاريخية التي لايجرؤ أحد على إلغائها أو الالتفاف عليها، حقيقة ان ثورة الرابع عشر من اكتوبر الظافرة لم تأت من الصفر بل جاءت كنتيجة منطقية لعدد من البطولات الفردية والانتفاضات الشعبية التي سبقت العاصفة الثورية.

ويؤكد الفقيد المناضل قائد صالح حسين (الشنفرى) أحد قادة جبهة الضالع في كتابات سابقة أن ثورة اكتوبر جاءت كثمرة ناضجة لتلك الاعمال النضالية العفوية التي مارسها شعبنا في كل مناطق الجنوب.. منذ أول يوم حل فيه الاستعمار بكل أوبئته.. والتي لم تكن في الواقع سوى عوامل نضج في مسار تاريخها النضالي.

تحقيق وتصوير/ علي الشرجي

لم تكن البداية في الضالع من معارك النضال عام ١٩٥٦م والتي شارك فيها فقيدنا المناضل قائد صالح حسين وسقط فيها عشرات الشهداء منهم: الشهيد الحاج احمد مثنى عامر والشهيد الحاج مثنى علي الغول ومن قادتها المبرزين الشهيد مساعد علي ..فلقد عاشت منطقة الضالع والشعيب وغيرها عدة انتفاضات سابقة واعطت من ابنائها قوافل من الشهداء.

وذلك نتيجة للمعاناة التي قاستها الجماهير في المنطقة جراء التسلط الطاغي للحكام المحليين ومن ورائهم الساسة البريطانيون.

بطولات فردية

من حين الى آخر كان يبرز في المنطقة أبطال يقبلون على عمليات استشهادية تعبيرا عن كرامتهم ورفض المجتمع للاوضاع السائدة حينذاك وليس هناك ماهو أصدق دليلا على ذلك من الطريقة التي استشهد بها المناضل البطل محمد عواس الازرقي في الثلاثين من يناير عام ١٩٤٨م الذي قتل آخطر ضابط سياسي بريطاني ظهر في جنوب اليمن المحتل واسمه (ديفي) إثر مساومة خاسرة على الارض والكرامة.

وكذلك الطريقة التي استشهد بها المناضل البطل السيد عبدالدائم وصاحبه الشيخ فاضل بن صالح الباقري في الخامس من يناير عام ١٩٥٠م بعد أن أرسل الاول طعنة نجلاء الى قلب المندوب السامي البريطاني «سيجر» الذي توفي متأثرا بجراحة الغائرة في أحد مستشفيات لندن.

ثلاثة من كبار السياسيين البريطانيين يلاقون حتفهم بأيد ضالعية كان ثالثهم هو الضابط السياسي البريطاني «موند» الذي أقيل عام ١٩٥٦م ليسن المزيد من الضرائب على الرعاة والمزارعين الفقراء فكان أن حكم عليه بالموت على يد حارسه احمد علي مقدشو وقاسم قريش اللذين اقتحما عليه مخدع نومه وأسقطا في قلبه الخبيث طلقتين نام بعدهما نومة الابد.

حوادث متفرقة

وتشير وثائق تاريخية مؤكدة الى ان الضالع ومديرياتها قد شهدت ايضا العديد من التمردات والاعمال البطولية الفردية منذ خروج الاتراك من المنطقة عام ١٩١٨م ومن تلك الحوادث مقتل اول جاسوس بريطاني في الشعيب الذي جاء متنكرا الى المنطقة عام ١٩٢٥م وقيام الطائرات البريطانية بقصف منطقة الضالع بالقنابل عام ١٩٢٨م.

وبعد اعتراف الإمام يحيى بالسيطرة البريطانية على جنوب اليمن - حينذاك- دخلت الضالع عام ١٩٣٧م ضمن محمية عدن الغربية وقد استخدم الضابط البريطاني (هملتن) الطائرات والمدافع لضرب منطقة الشاعري المتمردة على الاحتلال دون تحقيق أي نجاح في السيطرة على المنطقة .

ومما يذكره التاريخ هنا قيام مواطني الازارق بقتل تسعة من الجنود الانجليز في جبل حدة المعراضة عام ١٩٥٧م وعلى إثرها ضربت المنطقة بالطائرات وفي عام ١٩٥٨م دارت معركة شرسة بين الثوار والانجليز في جبل جحاف وبعد قتال عنيف اندحرت المقاومة الى مدينة قعطبة بعد أن استخدم سلاح الجو الملكي البريطاني.

انتفاضة ١٩٥٦م

ومع اشتداد القمع الاستعماري اشتدت المقاومة والانتفاضة المسلحة من قبل ابناء مناطق الضالع حيث جاءت انتفاضة ١٩٥٦م بقيادة الشهيد المناضل مساعد علي احمد من ابناء قرية الخريبة ردا على وحشية وهمجية الاستعمار حيث نفذ ابطال هذه الانتفاضة اول عملية وهي اغتيال احد رموز الخيانة والعمالة للاستعمار.

تجمع المصادر التاريخية على أنه ونتيجة لضعف امكانيات هذه الانتفاضة وعدم اكتمال التنظيم الداخلي لها لم تتمكن من الصمود في وجه الاستعمار وعملائه مما أدى إلى نزوح معظم الرموز القيادية الى شمال الوطن وعلاوة على ذلك فقد شكل الحكم الامامي عائقا أمام استمرارية انتفاضة ١٩٥٦م.

في ذات الوقت كان لهذه الإنتفاضة دور بارز فقد تأثرت بها العديد من المناطق مثل : حالمين ، وردفان ، والازارق ، وتوجهوا إلى شمال الوطن واستمرت المقاومة حتى عام ١٩٥٨م حيث تم احتلال جبل جحاف الذي كان عبارة عن مركز عسكري للاستعمار آنذاك.

واعتبر المناضل قائد صالح (الشنفرى) المناضل الشهيد مساعد علي، قائد انتفاضة ١٩٥٦م والذي اغتيل في مدينة قعطبة في مطلع عام ١٩٦٢م من شهداء هذا الانتفاضة بوصفه كان من قادتها المبرزين ومن ثم ظلت السلطة الاستعمارية تطارده حى تمكنت من اغتياله في النهاية.

من نماذج الاستبداد

شهد تاريخ الضالع نماذج كثيرة من الظلم والاستبداد.. فهذا قائد صالح مقبل من ابناء قرية الحود الضالع تاريخ ميلاده حسب وثائقه عام ١٩٣٩م يروي ذكريات من رصيده النضالي: انه في مطلع شبابه بدأ جنديا تابعا للأمير «حيدره» براتب شهري قدره «روبيتان» من العملة الهندية ومن هذا المبالغ الزهيد كان يدفع نصف ربية إلى «حسن الصوملي» كاتب الامير حيدرة كرشوة شهرية مفروضة على كل جندي من جنود الامير.

وكان هذا الامير يعرف هذا الاسلوب جيدا ولكنه كان يغض الطرف عنه ويتجاهله برغم العديد من الشكاوي التي كانت ترفع اليه.

كان هذا الامير طاغية مستبدا كان لايتورع عن القتل وسفك دم أي انسان يغضب عليه لنفسه وفي هذه الحالات كان يأمر بربط المغضوب عليه إلى صخرة أو إلى شجرة ويجعل من جسده نصعا له وهدفا يتناوله برصاصه جزاء وهو يضحك ويحدد هدفه من جديد لمن حوله من الناس كان يقول : هذه المرة فمه.. الخ، والناس من حوله مجبرون على مجاراته في الضحك خوفا منه وحتى لاينالوا نفس المصير.

ولهذا السبب وغيره كان الامراء مكروهين من كل المواطنين وحين تم خلعه من قبل السلطات البريطانية وتنصيب الامير شعفل ساعد المواطنون في هذه العملية وباركوها.

ومن ذكريات قائد صالح مقبل الحود مع الامير حيدره انه ذات يوم كان قد عاد الى عمله في مخفر الامير بعد مرض ألم به طويلا.. طالبا منه الامير أن يرافقه الصعود إلى رأس جبل جحاف .. وجبل جحاف معروف بشموخه وطول ارتفاعه الشاهق اطاع الامير مكرها ومضى يستبق حصانه- أي حصان الاميرركضا على اقدامه الحافية عبر طريق تاخذ بالارتفاع فخطوة فخطوة يلاحقه سوط الامير كلما وجد منه تعثرا في جريه امام الحصان.

ومضت ساعة أو أكثر والشاب المريض يبذل قصارى جهده ليستمر خوفا من سوط الامير وتأجج غضبه إلا انه في الاخير وصل إلى مرحلة فقد فيها كل قواه فلم يعد امامه إلا أن يتوقف أو يهوي فاقدا وعيه.. وعندها توقف لاهثا متقطع الانفاس فرفع الامير سوطه .. وفجأة إذا بالجندي الشاب المنهك يواجه الامير بفوهة البندقية كانا وقتها قد بلغا منتصف الجبل تماما.. وليس في أعلى الجبل أو أسفله من أحد يرى أويسمع .. ولأول مرة يغشي الفزع عيني ذلك الامير الطاغية ومع ذلك صرخ: ماهذا ياولد .. ماذابك؟!

فرد الولد بصوته اللاهث: أنا لم أعد أقوى على السير إني مريض مرهق لاقدرة لي على مسايرة الحصان.. أتركني هنا وتابع طريقك بسلام.

فقال له الامير: ارفع عني هذه البندقية ياولد وتابع السير .

فرد عليه: هو واحد من اثنين .. تواصل رحلتك من دوني أو تقبل رصاصة في قلبك .. أقسم بالله لن أتردد.

قال له : هكذا إذن عد أدراجك إلى الضالع.

فرد عليه : سأعود ولكن ليس قبل ان اراك تبتعد عني مسافة كافية.

كان الجندي الشاب يعلم ما الذي سيحدث إن هو تحرك من مكانه وأعطاء ظهره.

لقد أفزع الامير عندما حشا مسدسه الآلي دفعة واحدة لذلك أصر على موقفه وفرض طاعته على الامير الذي قرأ التصميم في عين الجندي المتعب ففضل السلامة.

وعاد هذا المناضل الشاب الى داره مسرعا ذلك اليوم وحمل بعض اشيائه الضرورية متوجها نحو الجبال حيث ظل متخفيا إلى ان جاءه بعد ثلاثة اشهر احد اقاربه يحمل له صك أمان من قبل الامير يقول فيه: عد ولك الامان.

فعاد ولكن إلى أين ؟ عاد مباشرة الى السجن لينزل ضيفا على سجن الضالع فترة عامين وبضعة اشهر وكان يمكن ان تطول الفترة إلى مالانهاية أو اجل مسمى لو لم يصدر الامير أمره بترميم السجن وتوسعته واثناء عملية الترميم وجد فرصة للهرب الى عدن ولم يعد الى منطقته إلا ليشارك في حركة ١٩٥٦ النضالية.

هذه القصة الحقيقية برمتها توجد ضمن محاولات قصصية وثائقية كتبها الاديب والقاص عبدالمجيد القاضي في كتابه (وقود الشعلة الحمراء) عن بعض شهداء (ردفان- الضالع -الحواشب) حصلنا على مذكرة المناضل قائد صالح مقبل اثناء زيارتنا لقريته مؤخرا لذات المهمة.

تطور اسلوب النضال

● تطور اسلوب العمل النضالي المناهض للوجود الاستعماري بعد انتفاضة ١٩٥٦م حيث هاجرت اعداد كثيرة من ابناء مديريات الضالع الى الكويت بعدما انتموا إلى حركة القوميين العرب وهنا تفتحت مداركهم لاساليب النضال السياسي والعسكري بشكل تنظيم اخذ على عاتقه جمع الاشتراكات لدعم جبهة الضالع الشعيب وتوزعت الادوار بينهم.. وعادت مجاميع منهم الى المنطقة التي لم تخب شعلتها الحمراء قط.. وفي طليعة من عادوا علي احمد عنتر وعلي شائع هادي وقائد صالح حسين ومحمد ناصر أبو عشيم وغيرهم الكثير وكانت عودتهم من اجل تعبئة وتوعية الجماهير وإعدادها للثورة المنظمة.

فكان اختيار المناضل علي عنتر لمركز الجليلة - احدى ضواحي مدينة الضالع- ليتخذ من دكان فيه- ظاهريا للتجارة - مكانا لتأطير ابناء المنطقة وتوعيتهم سياسيا وثوريا وبعث معظمهم للتدريب في تعز وآخرين لإجراء الترتيبات في قعطبة التي كانت تمثل المنطلق والسند والملجأ للثوار.

وهذا ما أكده المناضل قائد صالح حسين ويؤكده كل من قابلناهم امثال : محمد مانع ومحمد خالد ومثنى عبدالله وحسن ناجي.

● وتتفق أقوال هؤلاء مع اقوال المناضل حسن صالح طالب بشأن دخولهم من قعطبة الى الضالع بصور فردية وفتح حانوت في الجليلة باسم المناضل علي احمد ناصر عنتر، والوظيفة السرية لهذا الحانوت عقد اللقاءات السرية فيه وعقد المحاضرات الثورية للمستنيرين من الشباب.

وكان هذا قبل انبثاق فجر ثورة الرابع عشر من اكتوبر وتكاد تجمع كل المصادر التاريخية على أنه لم يكن هناك سابق معرفة أكيدة لدى ابناء الضالع بأن الجناح الآخر للثورة سيتفجر في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م.

ويستنتج المحقق عبدالمجيد القاضي من خلال قراءات تاريخية ووقائع كثيرة أن حركة القوميين العرب كانت تخطط لثورة في جنوب الوطن بمعزل عن النظام الكهنوتي في الشمال وأنه لما أطيح بالنظام الامامي وجدت متنفسا وبدأت تعمل بجدية.

المقاومة المنظمة

يفتتح المناضل قائد صالح الشنفرى مفكرته بمقدمة قصيرة يقول فيها:

بعد انبثاق ثورة الرابع عشر من اكتوبر من قمم جبال ردفان الشماء بدأت جبهتا الضالع والشعيب نشاطهما بتمرير الاسلحة والذخائر بين جبهة الامداد في مدينة قعطبة وساحة القتال في ردفان وذلك في وقت كانت الطرق مغلقة امام الثوار في ردفان ولكن لم تكن النية تنحصر في هذا الموقف فقط .

فالثورة لاتدل على وجودها جبهة مقاتلة واحدة تعمل في ردفان ولكي تكون ثورة فلا بد أن تتفجر المواقف القتالية في كل أرياف ومدن البلاد وهذا مافكر به رجال الضالع ورجال المناطق الاخرى.. ومن ثم كان لابد من استكمال التهيئة والإعداد لتفجير الموقف في الضالع وهذا ماحدث.

ويستعرض في مذكراته أبرز المعارك في منطقتي الضالع والشعيب كما جاء في نصها: